التّشريفُ وأثرهُ في تعليلِ الظّواهرِ النّحويّةِ وتوجيهِ التّراكيبِ اللّغويّةِ

أ.م.د.خير الدين فتاح عيسى القاسمي
جامعة كركوك / كلية التربية للعلوم الانسانية

الملخص :

يعدُّ مفهوم التَّشريف مظهرًا مِن مظاهر الجمال في اللغة ، وسبيلاً من سبل الاستضاءة في الدرس النَّحوي ، ومنهلاً ثرًّا في توظيف النَّحويين ضِمن منظومة من الألفاظ التّحليلية التي تلبّي مآرب النّحاة.

واختيار الألفاظ الشريفة والكريمة والسامية هو مقصد ربّاني ومَعلَم إنساني واجتماعي ، وذلك من خلال الدعوة الواضحة في القرآن الكريم إلى استعمال الطيب من الكلمات ، والحسن من العبارات التي زيّنت معالم حياتنا ، وقد أصبح هذا الكتاب العظيم سببًا في جريان العديد من الجمل والكلمات على ألسنة المتكلمين ، وقد ترجمت هذا المنهج السنة النبوية بأبهى صوره ، بأحاديث كثيرة مشهورة عند الخواص والعوام

وقد جاءت الدراسة في مبحثين ، تناول المبحث الأول :التَّشريف في التركيب النَّحوي ، بينما عالج المبحث الثاني : التَّشريف في معاني النحو ، ولاسيّما في القرآن الكريم ، نظرًا لأنّ معظم النصوص التي تحقّق التَّشريف فيها جاءت في آيات قرآنية.

المقدّمة :

الحمدُ لله الذي خصَّنا بمقاصد التشريف في مظان الإسلام والإيمان ، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيّدنا وحبيبنا محمّد صاحب الكلام المبين والقول اليقين ، وعلى آله الطّيبين الطّاهرين ، وأصحابه الكرام المكرَمين أجمعين.

وبعدُ

فإنّ مفهوم التَّشريف يُعدّ مظهرًا مِن مظاهر الجمال في اللغة ، وسبيلاً من سبل الاستضاءة في الدرس النَّحوي ، ومنهلاً ثرًّا في توظيف النَّحويين ضِمن منظومة من المصطلحات التّحليلية التي تلبّي مآرب النّحاة ، وتقوّم بناءَه الواصب .

واختيار الألفاظ الشريفة والكريمة والسامية هو منهج إلهي ومقصد ربّاني ، وذلك من خلال الدعوة الواضحة في القرآن الكريم إلى استعمال الطيب من الكلمات ، والحسن من العبارات التي زيّنت معالم حياتنا ، وقد أصبح هذا الكتاب العظيم سببا في جريان العديد من الجمل والكلمات على ألسنة المتكلمين ، وقد ترجمت هذا المنهج السنة النبوية بأبهى صوره ، بأحاديث كثيرة مشهورة عند الخواص والعوام.

إنَّ هذا المنهج في التحليل النحوي لم يظهر عند النحويين المتقدمين بنحو واضح ، وإنما ظهر وانتشر بعد التطور الكبير في التأليف النحوي ، ولهذا نرى استعمال هذا المصطلح قد كثر لدى النحاة المتأخرين.

ودراسة التشريف تُضيف نمطًا جديدًا إلى الفكر النحوي ، وهي نوع من المعالجات النحوية ؛ لأنّ عنصر المباشرة الذي يورده علماء النحو في جزئياته قد أتى من طرف دلالي متعلق بنحو كبير بالأسلوب ، وأعني بذلك اختيار الألفاظ الكريمة للكشف عن الفروقات بين الموضوعات التي تبدو متشابهة ، ومثل هذه الدراسات تعد ردّا علميا واضحا لمن يزعم أنّ الدرس النحوي لم يستطع أن يتجاوز الحركات الإعرابية ، وأن جلّ عمل النحويين كان مقتصرا على الاهتمام بأواخر الكلمات .

لقد جاءت جهود النحويين في التشريف في صور إشارات لطيفة وموجّهة أطلقها بعض النَّحويين في بعض المسائل النَّحوية ؛ لغايات تحدد مسارات بعض الجزئيات النحوية من حيث اختصاصها بـ صفات يقبلها الرأي السديد ، وتتناولها الأقلام ، فجاءت هذه الدراسة لتكون الجامعة لدقائقها ، والكاشفة لأسرارها.

وعلى الرَّغم من أنّ مصطلح التَّشريف يملك شبها واضحا بمصطلحات التقويم والتفضيل نحو " أفصح أو أقل أو أكثر..." [١] فإنّه يختلف عنها تماما في أنّ هذه المصطلحات تَرِدُ في مسائل الاستدلال السّماعي غالبا كما هو معروف ، ومصطلح التَّشريف وظّفه النّحاة لإظهار مواطن المشرَّف بين ما له شرف على غيره ، وبين ما جاء أدنى منه في المنزلة.

وأمّا مادة " شَرُفَ " عند أهل اللّغة بمعناها الدلالي ، فقد أُطلق على الظواهر والمعاني المحمودة نحو قولهم : ((الشَّرف محرَّكةً : العُلُوُّ والمكانُ العالي والمَجْدُ ، ولا يكونُ إلاَّ بالآباءِ أو عُلُوُّ الحَسَبِ ، ومن البعيرِ : سَنامُه))[٢].

فكل هذه الدلالات تشترك بصفات شريفة ، وتتقدم على ما سواها بحسب الألفاظ التي تأتي بخلافها أو ضدها ، والمكان العالي ضده المكان المنخفض ، والمجد السعة في الكرم والجلالة والعز والشرف ، وضده البخل وضعف الشأن ، وهكذا.

وكذلك ((شَرُفَ) المكان شرفا ارتفع ، والرجلُ علَت منزلتُه ، فهو شريف [جمعه] شُرفاء وأشراف))[٣]. وعلى هذا المعنى جاء قول الشاعر :

هُمُ حَلُّوا مِن الشَّرف المُعلَّى ... وَمنْ حَسَبٍ العَشِيرَةِ حَيْثُ شاؤا

مِن الشَّرف المعلّى أي مِن الشَّرف الذي هو كالقدح المعلّى ، لأنّه أشرف الأقداح وأكثرها حظوظا وانصباء ، وجعل هذا مثلا لأرفع المراتب [٤]. فأينما ورد التَّشريف دلّ على أن هناك تفاوتا ودرجاتٍ ، فالشريف يتقدم على غيره ، وتختلف درجته قياسا مع الآخرين.

وأمّا في الاصطلاح النَّحوي ، فلم نجد من تعرض إلى تعريفه بالمقصد الذي نريد دراسته ، ولكن من خلال دلالة المصطلح في كتب اللغة ، والأمثلة التي وردت في المسائل النَّحوية ، فإنّنا يمكن أن نضع تعريفا يحدّد معالمه فنقول : " هو الشيءُ المتميّز الذي نالَ صفة مختصة تفرّد بها عن أقرانها المشتركة معها "

فأبرز سمة تختص في هذا الموضوع هو التفرد الذي يأتي لمسألة معينة يرفعها إلى مقام لا تشاركها فيه مسألة أخرى.

وقد جاءت الدراسة في مبحثين ، تناول المبحث الأول :التَّشريف في التركيب النَّحوي ، بينما عالج المبحث الثاني : التَّشريف في معاني النحو ، ولا سيّما في القرآن الكريم ، نظرا لأنّ معظم النصوص التي تحقّق التَّشريف فيها جاءت في آيات قرآنية.

لقد تم الوقوف عند أشهر مواطن التَّشريف ، وما ذُكر في هذه الدراسة نعتقد أنّه قد أعطى صورة واضحة عمّا جاء في النَّحو العربي من دقائق تكشف مكانة التَّشريف في التراكيب النَّحوية ومعانيها ، ويترجم هذا الكلام ما قاله ابن مالك (رحمه الله):

وَرَغْبَةٌ فِي الْخَيْرِ خَيْرٌ وَعَمَلْ.....بِرٍّ يَزِينُ [وَلْيُقَسْ مَا لَمْ يُقَلْ]

المبحث الأول: التَّشريف في التّركيب النَّحوي:

لقد شرعَ النَّحويون بذكر الأشرف قياسًا بالنظائر في بعض المسائل النَّحوية ، وهم يحرِّرون ذلك ، وينطلقون من معايير علمية أسهمت في تكوين رؤية قائمة على الفصل بين ما له رفعة وتشريف على غيره وبين المسلوب عنه هذه الرفعة.

إنَّ من أهم الأدلة على وضوح فكر النَّحويين في هذه الموضوعات هو عدم اقتصارهم على وصف هذه المسائل بالتَّشريف فقط ، بل يقفون عندها وقوف المحققين ، فيذكرون سبب كون هذه المواضع أشرف من غيرها بمنهج معياري ليَمِيزَ الأشرف من الأدنى ، ويوضع في المكان الصحيح ، ويكون هذا التّحليل من الأمور والمسائل التي يقبلها المنطق النَّحوي ، نظرًا لوجود الأدلة الصريحة عليها ، والنتائج الدقيقة التي توصلوا إليها ، وقد ورد التَّشريف في موضوعات عدة منها :

١. التَّشريف في أقسام الكلام:

يرى النَّحويون أنّ الاسم أشرف من قَسِيمَيه الفعل والحرف ، وكل ما تعلّق بالاسم يكون مقدّما لتقدمه في الأصل كالجملة الاسميّة وعلامات الاسم ، ولهذا بدأ النَّحويون كلامهم في النَّحو بالاسم ، قال سيبويه : ((فالكَلِم : اسمٌ وفِعْلٌ وحَرْفٌ جاء لمعنى ليس باسم ولا فعل)) (٥). وقد ذكر هذا التقسيم بهذا الترتيب كل من المبرد ، وابن السراج(٦).

فقد بات واضحا عند النَّحويين أنّ الاسم جاء في بداية التقسيم للكلم ، لكونه أشرف من الفعل والحرف يدلّ على ذلك قولهم : ((وهذا شروع في العلامات التي يمتاز بها كل من الاسم والفعل والحرف عن أخويه ، وبدأ بالاسم ، لشرفه ، فقال "بالجر" ويرادفه الخفض))(٧).

وإذا كان تعليل النَّحويين في هذه المسألة يقوم على كون الاسم عمودَ الجملة المفيدة نحو قولهم : ((وقوله : (لشرفه) أي لوقوعه محكوما عليه وبه ، ولأنّه لا غنى لكلام عنه))(٨).

فإنّ التحقيق عندهم يظهر أنّ سبب التَّشريف في تقديم الاسم على الفعل والحرف جاء لعلة الاستغناء كذلك ، فقالوا : ((القسم الأول من أقسام الكلام : الاسم ؛ وبدأ به ، لكونه أشرف أنواع الكلام ؛ ولأنّه قد يستغني بنفسه في الكلام عن قسيميه))(٩).

وهذا الكلام يقتضي مجيء الفعل ثانيًا والحرف ثالثًا ؛ لأنّ الاسم قادر على الاستغناء عن الفعل وعن الحرف ، فبناءً على قياس الضد يقال : إذا عُرِف الأشرف من الأشياء فما دونه لا يشترك معه في هذا الشَّرف.

ويجمع آخرون من النحاة بين كمال التركيب ودلالة الاسم ، فقالوا : ((قوله : لشرفه ؛ لأنّه دال على ذات بخلاف الفعل ، وأيضا يقوم به كلام تام)) (١٠).

إنَّ مسألة استغناء الاسم من الفعل قد ذكرها سيبويه إذ قال : ((ألا تَرى أنّ الفعل لا بدّ له من الاسم ، وإلاّ لم يكن كلاماً ، والاسمُ قد يَستغنى عن الفعل تقول : اللهُ إلـهُنا وعبدُ الله أخونا))(١١).

فصحّة الاستغناء في الاسم عن الفعل والحرف ، ودلالته على الذات كانتا السبب في كونه أشرف منهما ، فالتّطور في الفكر النَّحوي ، وتوفَّر الأدوات الاستنباطيِّة لدى النَّحويين كشف مثل هذه الأسرار العلميّة التي منها العلل والمسوغات.

ولذلك ما جاء متصلا بالاسم ينال التشريف منه ، فما اختص به الاسم مقدم على المختص بالفعل والحرف ، وقد ذكر النحويون هذا الاستدلال نحو قولهم : ((... " قوله: "واحذف خفيفة إلخ" ، وإنّما لم تحرَّك [نون التوكيد] عند ملاقاتها ساكنًا ، كما يحرك التنوين عند ملاقاته ساكنًا في الأكثر ؛ لنقصها عنه في الفضل بكونها في الفعل ، وهو في الاسم[التنوين] ، فقصدوا بحذفها وإبقائه محركًا إظهار شرف الاسم بتشريف ما يختص به على ما يختص بالفعل [نونا التوكيد] الذي هو دونه))(١٢).

وهذا الكلام قادم من تفصيل في موضوع نوني التوكيد ، وهو أنّه قد تحذف نونا التوكيد في الفعل ويسكّن ، بخلاف الاسم الذي جاء منوَّنا إذا حذف التنوين يبقى محرَّكا ، وفي هذا استدلال على فضل الاسم وشرفه كما بان.

وذهب بعض النَّحويين إلى أنّ تقديم علامة الاسم " الخفض " على علامة الفعل الجزم جاء بسبب شرف الاسم فقال : ((وبدأ بالرفع : لاختصاصه بعُمد الكلام ، وثنّى بالنصب ، لوجوده في العمد ، وفي الفضلات ، وثلّث بالخفض : لاختصاصه بالأسماء ، وهي أشرف من الأفعال ، وأخّر الجزم ، لكونه لا يوجد إلا في الفعل))(١٣).

فبما أنّ الاسم أشرف من الفعل كما تقدم ، فهذا يقتضي عملا بالأصل أن يتقدم متعلقات الاسم على متعلقات الفعل ، والمراد بها هنا العلامة الإعرابية.

وكذلك إذا احتملت الكلمة في بنيتها " الاسميّة والحرفيّة " فإنّ النَّحويين يقدّمون الاسميّة منها على الحرفيّة ، قال خالد الأزهري : ((ما يأتي من الكلمات على اثني عشر وجها الأول : وهو (ما) وهي على ضربين : اسميّة وحرفيّة ، فالضرب الأول " الاسميّة " : وهي الأشرف ...))(١٤).

إذ نراه قد بدأ بالاسميّة ؛ لأنّ هذه المسألة أصبحت من الثوابت النَّحوية التي ترسّخت في الفكر ، واستقرت في التطبيق. فالأصل الذي تميّز به الاسم من التَّشريف هو

في شرف الاستغناء عن الفعل والحرف ، وكذلك دلالته على الذات قاده إلى أنّ يكون كل ما تعلق به أشرف مما تعلق بغيره.

أمّا في الأفعال فقد ذكر النَّحويون أنّ الفعل المضارع له شرف تفرّد به عن الفعلين الماضي والأمر ، ومن ذلك ما أورده ابن جني(ت ٣٩٢هـ) إذ قال : ((والأفعال لا تبنى لمشابهتها الحروف . أمّا الماضي فلأنّ فيه من البناء ما يكفيه ، وكذلك فعل الأمر العاري من حرف المضارعة نحو: "افعلْ" . وأمّا المضارع فلأنّه لمّا أهيب به ، ورفع عن ضعة البناء إلى شرف الإعراب لم يروا أنّ يتراجعوا به إليه ، وقد انصرفوا به عنه لئلاّ يكون ذلك نقضا)) [١٥].

إنّ هذا التفصيل قائم على أنّ الفعلين الماضي والأمر لا يحتاجان إلى المشابهة بالحرف ؛ لأنّ فيهما من أثر البناء ما يغنيهما عن المشابهة به ، ولكن ما ميّز الفعل المضارع الذي يشترك معهما في جنس الفعلية هو اعتلاؤه إلى منصّة الإعراب ، وتجمُّله بالحركات الإعرابية يمنعانه من الرجوع إلى نظائره ، وكذلك لا يجوز اقتصار البناء عليه خشية التناقض لمجيئه معربًا.

فالفعل المضارع أصبح مشرَّفا عند النَّحويين إذا ما ذُكرت أقسام الأفعال على ما بيَّنه السيوطي(ت ٩١١هـ) بقوله : ((الفعل ينقسم إلى ثلاثة أقسام : مضارع ، وماض ، وأمر ، ذكر المصنف علاماتها مقدِّما المضارعَ والماضي على الأمر للاتفاق على إعراب الأول ، وبناء الثاني والاختلاف في الثالث ، وقدّم الأول ؛ لشرفه بالإعراب ، فقال :

..... . فعل مضارع يلي لم كـ (يشم)))[١٦].

وقال المحقِّق معلِّقا على التخصيص الذي قدّمه السيوطي بأنه إنّما : ((قدَّم الأول " أي المضارع ، لشرفه على الماضي بالإعراب))[١٧].

وقد تحوّل هذا التَّشريف من الإعراب إلى الفعل المضارع نفسه لِمَا امتلك من تشابه بالاسم فقالوا : ((... لهذا ، أي لمضارعته – مشابهته – للاسم ، والمراد بالاسم الذي أشبهه المضارع اسم الفاعل ، ولمشابهته للاسم اختص بأمرين : الإعراب ، والتقدم على الماضي والأمر في الذكر؛ لأنّ الاسم أسمى الأنواع وأشرفها ، ولما أشبهه الفعل المضارع ، نال منه شرف التقدم ، وشَبَهُ الفعل المضارع للاسم حاصل في اللفظ والمعنى ، فشبهه في اللفظ حيث يجري معه في الحركات والسكنات ، وعدد الحروف ، وفي تعيين الحروف الأصلية والحروف الزائدة))[١٨].

وعندما يقف النَّحويون عند باب الأفعال يقدمون الفعل المضارع كما تقدم على الماضي والأمر لصفة تميَّز بها ، من ذلك قول الأشموني(ت٩٢٩هـ) : ((ولمّا كانت أنواع الفعل ثلاثة : مضارع وماض وأمر أخذ في تمييز كلّ منها عن أخويه مبتدئا بالمضارع ؛ لشرفه بمضارعته الاسم))[١٩].

ولم يقتصر الصبان على هذه الميزة ، وأضاف إليها سبق الاستقبال على المضي إذ قال : ((قوله : " لشرفه " ولسبق الاستقبال على المضي فإنّ الغد المستقبل يصير ماضيا ، هذا إذا كان الزمن المتصف بالاستقبال والمضي واحدا ، فإنّ كان متعددا كـ " أمس وغد " فالماضي سابق))[٢٠].

فالنّحاة سلّموا أن يكون الفعل المضارع أشرف من الماضي والأمر ، وعلّلوا ذلك بصفتين الإعراب والمشابهة ، وكلتا الصفتين أتت في الاسم فهو تشريف بالمشابهة لا بالأصالة كالتي في الاسم.

فهذه الأقوال جاءت لتكون بناء وتأسيسا للفصل في الموضوعات التي قد تبدو في الوهلة الأولى أنّها تشترك في جميع الصفات ، إلا أنّها بعد عرض الأدلة ظهرت أنّها ليست كذلك ، فمنها ما يلزم تقديمه لشرفه ، ومنها ما يلزم تأخيره لعدم اشتراكه في التَّشريف مع المتقدم.

٢. التَّشريف في أقسام الإعراب:

لمّا انتهى الكلام على التشريف في أقسام الكلم ، وكون بعضها أشرف من بعض يأتي الكلام هنا على أنواع الإعراب إذ فصّل النَّحويون بين أنواعها ، وبدؤوا من الأصل فقالوا : إنّ الإعراب أشرف من البناء ؛ لأنّ الإعراب أصل في الأسماء ، وهو ما ذكره شارح شذور الذهب ، إذ قال :((لمّا فرغ من بيان أقسام الكلمة والكلام شرع في بيان الإعراب والبناء اللـــــــذين لا يخلو آخر الكلمة من أحدهما. وبدأ ببيان الإعراب لشرفه وشرف محلّه)) [٢١].

لقد التزم النحويون بتقديم المعرب ، واستقر في فكرهم ، فإذا خاضوا في هذا الباب بدؤوا به ، وقد ذهب الأشموني إلى التعليل في ذلك فقال : ((بدأ في الذّكر بالمعرب ؛ لشرفه ، وفي التعليل بالمبني ، لكون علته وجوديّة وعلة المعرب عدميّة ، والاهتمام بالوجوديِّ أولى من الاهتمام بالعدميِّ ، وأيضاً فلأنّ أفرادَ معلولٍ علّة البناء محصورةٌ ، بخلاف علّة الإعراب ، فقدّم علّة البناء ، ليبيّن أفراد معلولها)) [٢٢].

فالتشريف هنا قادم من الظهور والعدم ، فما ظهر له أثر يفرّق أنواعه وأشكاله بسبب وجود مؤثر عليه ، أشرف مما يبقى ساكنا لعدم الأثر فيه وانعدام المؤثر.

ونحو ذلك ما قاله السيوطي : ((ومعرب الأسماء أخّره [أي : أخر المعرب مع أنّه أشرف من المبني ؛ لأنّه محدود قليل فيمتاز عن المعرب بقلته)) (٢٣).

وقد بيّن محمد محيي الدين في منحة الجليل سبب كون المعرب متأخرا عن الاسم فقال:((وها هنا سؤال، وهو أنَّ الناظم في ترجمة هذا الباب بدأ بالمعرب ، وثنى بالمبني فقال : " المعرب والمبني " وحين أراد التقسيم بدأ بالمعرب أيضا فقال : " والاسم منه معرب ومبني " ولكنّه حين بدأ في التفصيل ، وتعريف كلّ واحد منهما بدأ بالمبنيّ ، وأخّر المعرب ، فما وجهه ؟

والجواب عن ذلك أنّه بدأ في الترجمة والتقسيم بالمعرب ؛ لكونه أشرف من المبني بسبب كونه هو الأصل في الأسماء. وبدأ في التعريف بالمبنيّ ؛ لكونه منحصرا ، والمعرب غير منحصر، ألا ترى أنّ خلاصة الكلام في أسباب البناء قد أنتجت أنّ المبنيّ من الأسماء ستة أبواب ليس غير)) (٢٤).

أي لمّا قلت أطراف الحديث في البناء وسهل جمعه قدّم ، إذن فالأولى الحديث بالمبنيّ مقدّما لسرعة الانتهاء منه ، إذ إنّ المعرب له جزئيات وفروع لا بدّ من التوسع فيها مما يلزم إطالة الحديث عنها ، وإن كان الشرف للمعرب وليس للبناء.

أمّا أقسام الإعراب فإنّه ليس على وجه واحد فمنه : المرفوع ومنه المنصوب ومنه المخفوض ومنه المجزوم ، فكان هذا الاختلاف سببا في أن يبحث النَّحويون عن أشرف أنواعه .

واختار النَّحويون من جزئيات الإعراب المرفوعات بأنّها أشرف أنواع الإعراب ومنهم الرضي إذ قال : ((فابتدأوا باعتبار الإعراب أوّلا إذ هو أشرف من البناء ، وأولى بالأسماء، واختير أسبق الإعراب وأشرفه ، أعني الرفع ...))(٢٥).

والسبب الذي جعل النَّحويين يقدمون الرفع هو كونه ((علم الفاعلية " أي علامتها، والأولى، كما بيّنا أن يقال: " الرفع علم ، كون الاسم عمدة الكلام، ولا يكون في غير العمد))(٢٦). فالعُمَد لا تكون إلا مرفوعة ، ولهذا قال الصبان : ((بدأ بالرفع ؛ لأنّه أشرف إذ هو إعراب العمد ، ولا يخلو منه كلام ، وثنّى بالنصب ؛ لأنّه أوسع مجالاً فإنّ أنواعه أكثر))(٢٧).

لقد اصطلح النحاة بالعُمَد للمرفوعات نظرا لدلالتها في الأصل على استناد غيرها عليها ، فهي كساق الشجرة وغيرها كالفروع عليها ، وهذه الدلالات التي تدل على الأصالة والقوة جعلتها الأشرف قياسا بالإعرابات الأُخر.

وقد أصبح هذا الأمر مشهورا عند النحويين ، كقول بعضهم : ((وأقول : قد علمت ممّا مضى أنّ الاسم المعرب يقع في ثلاثة مواقع: موقع الرفع، وموقع النصب، وموقع الخفض، ولكل واحد من هذه المواقع عوامل تقتضيه ، وقد شرع المؤلف يبين لك ذلك على التفصيل، وبدأ بذكر المرفوعات ، لأنّها الأشرف ...))[٢٨].

إذن السبب في تشرف المعرب أنّه الأصل ، ((فإنّ ما كان منها معربا لا يسأل عن علّة إعرابه ، لانّ ما جاء على أصله لا يسأل عن علّته ، وما جاء منها مبنيا يسأل عن علّة بنائه))[٢٩].

وبعد تدرّج الأمور في هذه المسائل ، وتحقّق الجزئيات نرى أنهم قد وصلوا إلى القول : إنّ الضمّة أشرف أنواع الحركات ، اعتمادا على الرفع ، واعتبار الاختصاص بالاسم كونه من العُمد ، وذلك عندما وقفوا عند حركات لضمير التّاء وبينوا أنَّ من : ((المتّصل المرفوع تاء تُضمّ للمتكلّم ، وتفتح للمخاطب ، وتكسر للمخاطبة للفرق ، وخصّوا المتكلم بالضّمة ؛ لتقدّم مرتبته ، فأعطي أشرف الحركات ، والمخاطب المذكّر بالفتح ؛ لأنّ خطابه أكثر من خطاب المؤنث ، فالتخفيف به أولى ، وأيضًا هو مقدّم على المؤنث ، فأعطي التّخفيف ، فلم يبقَ للمؤنث إلا الكسر))[٣٠].

ومثل هذه التعليلات التحليلية الممتزجة بالدلالات التي تقف وراء ظلال هذه المصطلحات تدخل في ساحة البحث اللغوي في فلسفة الأسباب لوضع اللغة ، وعلى الرّغم من أنّها تعطي إضافة مفيدة إلى معرفة العلل التي تقف وراء ترتيب المسائل في النَّحو العربي ، فإنّها باب واضح في الاجتهاد لتفكير النحويين لتمييز اختلاف التراكيب .

وقد علمنا لماذا قدم النحاة الرَّفع على النصب ، ولكن لماذا تقدّم الجر على الجزم ؟ فقد ذكر النّحاة أنّ الجرّ مقدّم على الجزم نحو قولهم : ((... إذ خصّ الاسم بالجر ، والفعل بالجزم كالعوض من الجر ، ليحصل لكلّ من الاسم والفعل ثلاثة أوجه من الإعراب : اثنان مشتركان وواحد مختص ، ولا يخفى أنّ عامل الجزم أصالة الحرف ، فهو كالجر في عدم استقلال العامل أصالة ؛ لأنّ الحرف غير مستقل جارّا كان أو جازما أو غيرهما، فلا

شرف للجزم على الجر باستقلال عامله أصالة حتى يرد ما ذكره البعض من لزوم اختصاص الإشراف وهو الاسم بالمرجوح وهو الجر لعدم استقلال عامله))[٣١].

والغاية هنا هي إثبات أنّه لا فرق بين حرفي الجر والجزم فكلاهما مختصان فلا شرف في ذات الحرفين ، وإنّما سبق الشرفُ الجرَّ ؛ لكونه مختصا بالاسم ، والاسم أشرف من الفعل كما تقدم في نصوص كثيرة سواء أكان في ذاته أم في علاماته .

٣. التَّشريف في التنكير والتعريف

لقد وضع النّحاة من خلال الاستقراء فوارق عدة بين النكرة والمعرفة وهي معروفة عند الدارسين ، من ذلك ما ذكره سيبويه(ت ١٨٠هـ) إذ قال : ((... فتركوا صرفه كما تركوا صرف الأعجمي ، وهو مصروف في النكرة كما تركوا صرف إبراهيمَ وإسماعيلَ ، لأنّهما لم يجيئا على مثال ما لا يصرف في النكرة كأحمرَ ، وليس بمثال يخرج إليه الواحد للجميع نحو: مساجدُ ومفاتيحُ،وليس بزيادة لحقت لمعنىً كألف حبلى وإنّما هي كلمة كهاء التأنيث ، فثقلت في المعرفة إذ لم يكن أصل بناء الواحد ؛ لأنّ المعرفة أثقل من النّكرة))[٣٢].

وهنا يذهب النّحاة إلى القول : إنّ المعرفة أشرف من النكرة ، ولا يبحث النحاة عن الأصل على هذا الاعتبار بل إنّهم ينظرون من زاوية مغايرة تماماً ، وهي زاوية التوظيف والتخصيص ، فإذا كان الكلام على الأصل ، فالنكرة مقدمة على المعرفة نحو: ((... قوله: "لأنّها الأصل" أي الغالب والسابق ، يدلّ على الغلبة: العلّة الأولى ، وعلى السبق : العلّة الثانية ، ولا يرد أنّ المعرفة أشرف ؛ لأنّ النُّكات لا تتزاحم ، ولأنّ الأنسب اعتبار كون الأسبق في الوجود هو الأسبق في المذكر))[٣٣].

ويسمّي العلماء مثل هذا الترتيب بـ ((التقدم الطبيعي هو : كون الشيء الذي لا يمكن أن يوجد آخر إلا وهو موجود ، وقد يمكن أن يوجد هو ، ولا يكون الشيء الآخر موجودا ، وألا يكون المتقدم علّة للمتأخر ، فالمحتاج إليه إن استقل بتحصيل المحتاج كان متقدما عليه تقدما بالعلة كتقدم حركة اليد على حركة المفتاح ، وإن لم يستقل بذلك كان متقدما عليه بالطبع كتقدم الواحد على الاثنين ، فإنّ الاثنين يتوقف على الواحد ، ولا يكون الواحد مؤثرا فيه))[٣٤].

ولكنَّ الأمر يختلف تماما إذا اختلف الاعتبار ، وتحوّلت المسألة إلى سبيل أخرى فإنّ المعرفة تُقدّم على النكرة لأنّ ((المعرفة : ما وضع لشيء بعينه ، وقدّم المصنف

المعرفة على النكرة مع أنّ الأولى تقديم النكرة ؛ لأنّها الأصل ، لاندراج كل معرفة تحتها ؛ لكنّه قدم المعرفة ؛ لأنّها أشرف من حيث دلالتها على معين))[٣٥].

وهذا يدلّ على أنّ العودة إلى الدلالة ، والفائدة من هذه الدلالة ، هي التي تحدّد مسألة التَّشريف بمعنى آخر إذا قصدت الأصالة ، فالنكرة أقدم من المعرفة من هذه الجهة ، وإذا قصد التعيين ، فالمعرفة أشرف من النكرة من جهة التخصيص ، وكون الأصالة سببا في التَّشريف ، فقد تقدّم في الاسم أنّ الإعراب أشرف لكونه أصلا في الأسماء ، ولم يعوّلِ النّحاة على الأصالة على التَّشريف في التنكير لاختلاف الاستدلال ، وفي هذا دليل على أنّ العلل التي تذكر في التَّشريف لا تقوم على قواعد ثابتة ، وإنما تذكر بحسب ما يقتضي المقام .

٤. التَّشريف في أقسام الضمائر

فرّق علماء النَّحو بين الضمير المتصل والضمير المنفصل ، وبينوا أنّ المتصل أشرف من المنفصل ، وتتعدد أسباب الفرق بين الضميرين بعلل مختلفة ، إذ ذهب ابن جنّي إلى أنّ المتصل ، وإن كان أضعف من المنفصل إلا أنّه أكثر وأيسر في الاستعمال إذ قال : ((وأيضا فإنّ المضمر المتصل ، وإن كان أضعف من الضمير المنفصل ، فإنّه أكثر وأيسر في الاستعمال منه ألا تراك تقول : إذا قدرت على المتصل لم تأت بالمنفصل ، فهذا يدلك على أنّ المتصل أخف عليهم ، وآثر في أنفسهم ، فلمّا كان كذلك ، وهو مع ذلك أضعف من المنفصل وسرى فيه ، لضعفه حكم لزم المنفصل أعنى البناء ؛ لأنّه مضمر مثله ، ولا حقّ في سَعة الاستعمال به))[٣٦].

ولهذا يرى النَّحويون أنّ المتصل أشرف من المنفصل على نحو ما ذكروه من أنّه مَن ((جوّز الاتصال والانفصال نحو: أعطاكَهُ زيد، وأعطاك إيّاه زيد، وأعطيتُكَهُ، وأعطيتُكَ إيّاهُ ، وكذا خلتُكَهُ وخلتُكَ إيّاه ، وجه اتّصاله أنّ المتصل الأول أشرف منه بسبب كونه أعرف ، فلا غضاضة على الثاني بتعلقه بما هو أشرف منه))[٣٧].

وقد ذكر النَّحويون أنّ الضمير المتصل قد حصل على هذا التميز باعتبارات عدة ، فقد قدّمه المرادي ، لكونه الأصل إذ قال : ((والبارز قسمان: متصل ومنفصل. ولمّا كان المتصل هو الأصل، لكونه أخصر قدّمه على المنفصل))[٣٨].

وكذلك اكتفى الأشموني بذكر علة الاختصار في الضمير المتصل إذ قال : ((وفي اختيار لا يجيء" الضمير " المنفصل إذا تأتّى أن يجيء الضمير " المتصل" ؛ لأنّ الغرض

من وضع المضمرات إنّما هو الاختصار، والمتصل أخصر من المنفصل ، فلا عدول عنه إلا حيث لم يتأتَّ الاتّصال لضرورة))[٣٩].

أمّا الأستاذ عبّاس حسن فأضاف أسبابا أُخر إلى هذا التفضيل فقال : ((ونزيد الآن أنّ الكلام إذا احتاج إلى نوع من الضمير –كالضمير المرفوع، أو المنصوب– وكان منه المتصل والمنفصل ، وجب اختيار الضمير المتصل ، وتفضيله على المنفصل الذي يفيد فائدته ؛ ويدل دلالته ؛ لأنّ المتصل أكثر اختصارًا في تكوينه وصيغته ، فهو أوضح وأيْسَر في تحقيقه مهمّة الضمير ، فتقول: بذلت طاقتي في تأييد الحقّ، وبذلنا طاقتنا فيه ، ولا تقول: بذل "أنا"، ولا بذل "نحن". وتقول: كرّمك الأصدقاء ؛ ولا تقول: كَرَّم "إياك" الأصدقاء ، وتقول: فرحت بك، ولا تقول: فرح أنا بـ أنت))[٤٠].

فقد تنوعت أسباب تقديم الضمير المتصل فابن جنّي يقول : إنّ المتصل أخف في الاستعمال ، في حين يرى الرضي أنّه أعرف وأشرف ، واتّفق المرادي والأشموني وعباس حسن أنّه أخصر من المنفصل فكل هذه العلل كانت المسوغ لدى النحاة في جعل المتصل أشرف من المنفصل.

المبحث الثاني : التَّشريف في معاني النَّحو

يذهب العلماء إلى الفصل والتفريق في علم النَّحو بين التراكيب والعلاقات الإعرابية والاهتمام بأواخر الكلم ، وبين معاني تلك التراكيب والأسباب التي كانت وراء تلك العلاقات الإعرابية والتّحول في أواخر الكلم ، قال الدكتور فاضل السامرائي : ((ربّما لا أكون مغاليا إذا قلت : نحن لا نفهم اللّغة كما ينبغي ؛ لأنّ أكثر دراستنا تتعلق بالعلاقات الظاهرة بين الكلمات أمّا المعنى فهو بعيد عن تناولنا وفهمنا ، بل ربّما لا أكون مغاليا إذا قلت : إنّنا نجهل أكثر مما نعلم فيما نحسب أنّنا نعلم))[٤١].

والمعاني التي تقف في ظلال التراكيب عديدة ، ولسنا في مقام إحصائها بقدر ما نريد أن نذكر ما يخص موضوعنا ، إذ برز التَّشريف في معاني النَّحو في موضعين بنحو كبير في معاني مستويات الترتيب ، ومعاني الألفاظ في التراكيب.

١. معاني مستويات الترتيب:

تتميّز اللغة العربية في تراكيبها بجواز الاهتمام بمستويات الترتيب في طرفي الجملة وهما : المسند والمسند إليه ، وهذا الجواز يجعل في اللّغة حرية اختيار أجزاء الجملة من دون أن يشكّل طريقا ضيّقا أمام المتكلّم ، ولكنّ هذا الترتيب لا يكون بنحو

عبثي ، وإنّما يأتي لغاية يقصدها المتكلم ، وبمستوى ترتيبي تنطلق منه الدلالات لتعبر عن المقاصد ، وقد أشار سيبويه إلى هذا فقال : ((وذلك قولك ضَرَبَ عبدُ الله زيداً فعبدُ الله ارتفع ههنا كما ارتفع في ذَهبَ وشغَلْت ضربَ به كما شغلتَ به ذهَب وانتصب زيدٌ ؛ لأنّه مفعول تعدّى إليه فعلُ الفاعل فإن قدمتَ المفعولَ وأخَّرتَ الفاعل جرى اللفظُ كما جرى في الأوّل ، وذلك قولك : ضَرَبَ زيداً عبدُ الله ، لأنّك إنّما أردت به مُؤخّرا ما أردت به مقدَّمًا ، ولم تُرد أن تَشغلَ الفعل بأوَّلَ منه ، وإنْ كان مؤخراً في اللفظ فَمن ثمَّ كان حدّ اللفظ أن يكون فيه مقدَّما ، وهو عربيٌّ جيِّد كثير كأنّهم إنَّما يقدّمون الذي بيانه أهمُّ لهم ، وهُمْ ببيانه أعْنَى ، وإن كانا جميعاً يُهِمّانِهم ويَعْنِيانهم))[٤٢].

لقد تحدّثنا في المبحث الأوّل وقلنا : إنّ الاسم أشرف من الفعل والحرف ؛ ولهذا تقدّم هناك ، وهنا نشير إلى مسألة مهمّة كذلك هي أنّ التأخير أحيانا لا يدلّ دائما على أنّ المتأخر أدنى من المتقدم ، وقد أشار إلى هذه المسألة بعض النَّحويين من خلال ما ذكره ابن مالك (ت٦٧٢هـ)رحمه الله إذ قال[٤٣] :

كلامُنا لفظٌ مفيدٌ كـ استقمْ واسمٌ وفِعلٌ ثُمّ حَرفٌ الكَلِمْ

إذ قال أحد الشرّاح في مسألة العطف في أقسام الكلام : ((" ثمّ " في قوله " ثم حرف " بمعنى الواو إذ لا معنى للتراخي بين الأقسام . ويكفي في الأشعار بانحطاط درجة الحرف عن قسيميه ترتيب الناظم لها في الـــذكر على حسب ترتيبها في الشَّرف ووقوعه طرفا)) [٤٤].

إذ بيّن أنّ هذا الترتيب قد كشف أنّ الحرف أدنى بغض النظر عن نوعية حرف العطف ، ولكن هذا الكلام ليس على إطلاقه ؛ لأنّ الصبان قد بسط الكلام على هذا الشرح فقال : ((وقوله : " يكفي في الإشعار إلخ " ، فيه أنّ " ثمّ " أدلّ على ذلك ؛ لأنّ المتأخر ذكرا قد يكون أشرف كما في آيـــة: ﴿لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [الحشر: ٢٠] فالأولى إبقاء " ثم" على حالها ، وجعلها للتراخي الرتبي بين الأقسام من حيث ذواتُها لا من حيث الانقسامُ))[٤٥].

وتابع الخضريُّ الصبَّانَ مبيّنا أنّ " ثمّ" كان من المفترض أن تكون موجودة مع الفعل كذلك إلا أنّه أبدلها بالواو حتّى لا يخالف الوزن الشعري ، فقال : ((" ثمّ حرف" أتى

بـ"ثمّ " إشارة إلى انحطاط رتبة الحرف عن قسيميه ، وتركها في الفعل لضيق النّظم ، ولا يكفي في بيان رتبها في الشَّرف ترتيبها في الذِّكر ؛ لأنّ المؤخر قد يكون أشرف))[٤٦].

وقد يُقال في هذا المقام : إنّ هناك اختلافا في نوعية الحرف الذي كان علة للرد على كلام الأشموني الذي مثّل بالحرف "ثم" ، وقال : إنّها بمعنى الواو ، والآية التي ذكرها الصبان بحرف "الواو" ، فيجاب على هذا القول : إن تمثيله بالآية يدل على جواز ذلك مع الحرفين ، زيادةً على هذا ، فإنّ الأستاذ عبّاس حسن صرّح بهذا المذهب ، وكان مقصده على حرف الواو إذ قال : ((فالمتأخر – وهو المعطوف– قد يكون أشرف أحيانًا من المتقدم " وهو المعطوف عليه " كـ قوله تعالى : ﴿ لا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾))[٤٧].

وكذلك ممّا ورد من التقديم لأجـــــل التَّشريف في القرآن الكريم في قوله تعالى : ﴿ الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا ﴾ [فاطر : ٣٢] إذ تقدّم الكتاب على الاسم الموصول ، قال السمين : ((قوله: ﴿الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا ﴾: مفعولا "أَوْرَثْنا". و"الكتابَ" هو الثاني قُدِّمَ لشَرَفِه، إذ لا لَبْسَ))[٤٨].

ومعنى لا لبس أنّ الاصطفاء يكون أولا ؛ لأنّ توريث الكتاب قبل الاصطفاء لا يوافق المنطق السليم ، وقد فسّر هذا الأمر كلامُ الرازي إذ قال ((... وعلى هذا ، فالذين اصطفيناهم : الذين أخذوا بالكتاب))[٤٩].

ولمّا كان من معاني التَّشريف التعظيم ، فقد بيّن أحد العلماء أنّ هذا التقديم للكتاب جاء لأجل التعظيم زيادةً على التَّشريف ، إذ قال الشوكاني : في الآية((﴿ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ﴾ المفعول الأول لأورثنا الموصول والمفعول الثاني الكتاب ، وإنّما قدم المفعول الثاني لقصد التَّشريف والتعظيم للكتاب)) [٥٠].

وفي كلِّ موضع ورد فيه تشريف نجد أنّ هناك مناسبةً في التركيب وطلبا في الدلالة ، إذ نرى أنّه من جهة التركيب أنّ هذا الفعل المتعدي يطلب مفعولين ، ولا يعني أنّ كل مفعول يأتي بعده هو المفعول الأول ، وإنّما يراعى مع هذين المفعولين معرفة المفعول الأوّل والثاني ، والذي ظهر اعتمادا على الدلالة .

وكذلك تحدّث العلماء في الترتيب الذي ورد في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾ [غافر: ٢٨]، إذ ذكر الخطيب القزويني(ت٧٣٦هـ) فائدة هذا الترتيب من الجهة البلاغية فقال : ((... وإمّـــــا لأنّ في التأخير إخلالا ببيان المعنى كقوله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾ فإنّه لو أخر من " آل فرعون " عن يكتم إيمانه لتوهم أنّ "من" متعلقة بـ "يكتم" فلم يفهم أنّ الرَّجل من " آل فرعون "))[٥١].

ونظر النَّحويون إلى بِنية الكلمات فراعوا في المسألة التدرج بأنّه ((إذا نعت بمفرد وظرف وجملة ، قُدّم المفرد ، وأخّرت الجملة غالباً نحو: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ ﴾))[٥٢]. ومثله كذلك قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[المائدة : ٥٤][٥٣].

وقد توسَّع الدكتور فاضل السامرائي في معنى هذه الآية إذ قال : ((فإنّه قدّم (من آل فرعون) على الفعل" يكتم " لإفادة أن هذا الرجل هو من آل فرعون ، ولو أخره وقال (وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون) لما فهم أنه منهم ، بل لاحتمل المعنى أن هذا الرجل يكتم من آل فرعون أي يخفيه منهم ، والمعنى هو المطلوب)) [٥٤].

ونروم من كلّ ما تقدّم أن نصل إلى أنّ هناك معنى التَّشريف في هذا التقديم ، مع الإقرار أنّ المعنى الذي ذكره القزويني والآخرون هو الأصل ، فقد ذكر محمد خفاجي أنّ في تقديم كلمة مؤمن معنى التَّشريف زيادةً على المسائل التي تقدّم ذكرها فقال : ((الحاصل أنّه ذكر للرجل ثلاثة أوصاف ، وقدّم الأول منها أعني "مؤمن" ، لكونه أشرف ، ثم الثاني لئلا يتوهم خلاف المقصود)) [٥٥].

والذي جاء في هذه الآية من خلال تقسيم الكلمات على حسب الترتيب الذي جاء في القرآن الكريم مِن جعله تقديم كلمة " مؤمن" للتشريف أفاد أنّ هناك معنى آخر لم يصرح به صاحب الإيضاح ولا من جاء بعده ، وأنّ هذا الوصف بالتَّشريف فيه مناسبة فضلا عن أن المقام يقتضي أن يكون الترتيب على هذا النَّحو حتى لا يختل المعنى ، وهو ما يذهب إليه الباحث.

كذلك أكّد العلماء أنّ الله ـ سبحانه وتعالى ـ قد قدّم في كتابه الكريم السَّماء على الأرض في مواضع كثيرة ؛ لأنّها أشرف من الأرض ، ففي الآية الكريمة ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨) وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩) وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠)﴾ [النبأ] قال البقاعي : ((... ولما ذكر الآية في أنفسهم ذكر بعض آيات الآفاق ، وبدأ بالعِلوي ؛ لأنّه أشرف فقال بانياً للمفعول ؛ لأنّ المفزع مطلق التفتيح ، ولأنّ ذلك أدلّ على قدرة الفاعل ، وهو أنّ الأمور عليه : (وفتحت السماء) أي شقق هذا الجنس تشقيقاً كبيراً))[٥٦].

فالآية في وصف أحوال ما بعد النفخ ابتدأت بالسماء ، وقد جاءت في جملة معطوفة وهي في بنية المبني للمجهول ، وإحدى معاني البناء للمجهول هو العلم به ، فالله سبحانه بدأ بالسّماء ؛ لأنّه الأعلم سبحانه بها وبما فيها وعباده يعلمون عظمة السماء وما فيها.

وقد ذكر العلماء تفصيلات كثيرة بهذا المعنى في بيان أسباب تقديم السماء في الترتيب ، قال أبو حيان : ((وبدأ بذكر السماء ؛ لشرفها وعظم ما احتوت عليه من الأفلاك والأملاك والعرش والكرسي وغير ذلك ، وآياتها : ارتفاعها من غير عمد تحتها ، ولا علائق من فوقها ، ثم ما فيها من النيّرين ، الشمس والقمر والنجوم السيارة والكواكب الزاهرة ، شارقة وغاربة ، نيّرة وممحوّة ، وعظم أجرامها وارتفاعها ، حتى قال أرباب الهيئة : إن الشمس قدر الأرض مائة وأربع وستين مرّة ، وإنّ أصغر نجم في السماء قدْر الأرض سبع مرّات ، وإنّ الأفلاك عظيمة الأجرام ، قد ذكر أرباب علم الهيئة مقاديرها ، وإنّها سبعة أفلاك ، يجمعها الفلك المحيط)) [٥٧].

فالسّماء عظيمة بخلقها عظيمة بحجمها عظيمة بما فيها ، والأرض فيها من الأسرار العظيمة الكثيرة ، ولكن عظم السّماء متجليّة ، والمحسوسات التي تُرى عليها تترك الإنسان في غاية الذهول والعجب ، فسماء بلا عمد ، ونجوم بلا سند ، وضياء بلا سكون ، فكل هذه الأمور أسباب ربانية تجعل السماء أشرف من الأرض.

وكذلك من مسائل مراعاة الترتيب التي جاءت لأجل التَّشريف ما ورد في القرآن الكريم من تقديم المسند على المسند إليه ، ومجيء ترتيب الآيات بما يحقّق توظيف التَّشريف فيها كما في قوله تعالى : ﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ

بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ﴾ [الأعراف : ١٩٥] بدأ بالأدنى لغرض الترقي ؛ لأنّ اليد أشرف من الرجل ، والعين أشرف مِن اليد ، والسمع أشرف من البصر(٥٨).

إذ أفصحَ العلماء أنّ السبب من هذا الترتيب هو التدرج والارتقاء من الأدنى إلى الأعلى من تقديم جارحة على جارحة ، وحاسة على حاسة للوصول إلى أنّ الذي جاء متقدما هنا أدنى من المتأخر ، وهو ما توصّلنا إليه فيما تقدّم أنّه لا يشترط في الشيء الذي جاء وفيه تشريف أن يكون متقدّما أو متأخرا ، وإنّما السياق هو الذي يكون حاكما ليعرف الأشرف من الأدنى.

فهذا التّدرج هو ترتيب فيه مراعاة يسلّم لها العقل ، وتطمئنّ لها النّفس ويتصوّرها الفكر ويستأنس لها السّمع ، ولاسيَّما إنّ الإنسانِ يسمع هذا التّنقّل المنتظم في جوارحه وحواسّه.

ومسألة تقديم حاسّة السّمع على البصر تحدّث فيها العلماء من ذلك ما ذكره الزركشي في "البرهان" ، إذ قال : ((منها : شرف الإدراك كتقديم السمع على البصر والسميع على البصير ؛ لأنّ السمع أشرف على أرجح القولين عند جماعة ، وقدم "القلب" عليهما في قوله تعالى : ﴿ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة : ٧] خدمة القلب وموصلة إليه وهو المقصود ، وأمّا قوله : وختم على سمعه وقلبه ، فأخّر القلب فيها ؛ لأنّ العناية هناك بذم المتصامين عن السماع ، ومنهم الذين كانوا يجعلون القطن في آذانهم حتى لا يسمعوا ، ولهذا صدرت السورة بذكرهم في قوله : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ (٧) يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٨) ﴾ [الجاثية]))(٥٩).

ومن نظر إلى أصل الخلق ، فقد نفى أن يكون هناك تشريفٌ في تقديم السمع ؛ لأنّه جاء على أصله ، فقال : ((وإذا كان السمع قد قدِّم على البصر في أغلب الآيات ، فليس معنى ذلك أنّ السمع أهم من البصر، وأشرف عند الله تعالى في الخلق؛ وإنّما معنى ذلك أنّ هذا التقديم من ناحية الخلق فقط ، لا من ناحية الفائدة . فمن المعلوم أنّ الله

تعالى خلق السمع قبل البصر؛ كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون : ٧٨]))[٦٠].

وليس المراد هنا أنّه إذا جاء شيء في المقدمة أنّه قبل المقدم عليه في الخلق ، لأنّ ذلك ممكن كما تقدم ، وإنّما المراد أنّ له صفةً يتميز بها عن المتأخّر تجعله أشرف منه ، وهذا هو ما قصدوه كما هو في ظاهر كلامهم.

٢. معاني الألفاظ في التراكيب:

تتميّز الألفاظ بقدرتها على اكتناز المعاني المختلفة ، إذ إنّ وراء كل لفظ ظلٌّ يرافقه ومعان تدلّ عليه ، وبما أنّ اللغة تتكون من ألفاظ ومعانٍ فإنّ العلماء يذكرون أنّ هناك تفاضلا بينهما ، قال ابن جني : ((فإن قلت : فحروف المضارعة أيضا موضوعة على اختلاف معانيها لأنّ الهمزة للمتكلم والنون للمتكلم إذا كان معه غيره وكذلك بقيتها ، قيل : أجل إلا أنّها كلّها مع ذلك مجتمعة على معنى واحد وهو جعلها الفعل صالحا للزمانين على ما مضى فإن قلت فالإعراب أيضا كلّه مجتمع على جريانه على حرفه قيل : هذا عمل لفظي والمعاني أشرف من الألفاظ))[٦١]. بل إنّه يذهب إلى أنّ الألفاظ خدم للمعاني بقوله : ((فكأن العربَ إنّما تحلي ألفاظها وتدبجها وتشيها وتزخرفها عناية بالمعاني التي وراءها وتوصلا بها إلى إدراك مطالبها وقد قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " إنّ من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا " [٦٢]، فإذا كان رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعتقد هذا في ألفاظ هؤلاء القوم التي جعلت مصايد وإشراكا للقلوب وسببا وسلّما إلى تحصيل المطلوب عـــــــرف بذلك أنّ الألفاظ خدم للمعاني والمخدوم لاشكّ أشرف من الخادم))[٦٣].

ومسألة اللفظ والمعنى قد شغلت العلماء كثيرا ، لما فيها من أثر في بناء اللغة وتطورها ومن هؤلاء الجاحظ الذي قال : ((والمعاني مطروحةٌ في الطريق يعرفها : العجميُّ والعربيُّ والبدويُّ والقرَوي والمدنيّ ، وإنَّما الشأنُ في إقامةِ الوزن وتخيُّر اللفظ وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحَّة الطبع وجَودَة السَّبك ، فإنّما الشعر صناعةٌ وضرْب من النَّسج وجنسٌ من التَّصوير)) [٦٤].

لقد جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم ظهر فيها أثر دلالة الألفاظ في بيان معاني التَّشريف ، وقد تنوعت بتنوع تلك الألفاظ ، ومن أشهر تلك المعاني مجيء "ذو" بمعنى

صاحب ، وذكر "الوجه" من دون أعضاء الجسم الأُخر ، والإضافة لأجل التَّشريف ، والتغليب.

١. التَّشريف في مجيء ذو بمعنى صاحب:

قد يتحمل اللفظ الواحد معنيين أو أكثر ، ولكنّ هذه المعاني الموجودة في ظلال هذه الألفاظ يتفاوت في الاستعمال أو القيمة الدلالية ، فيقدم أحدهما على الآخر بفقه معنوي تمّ التوصل إليه من خلال الاستقراء والقرائن والسياق ، وقد وجدنا أنّ النَّحويين يقولون : إنّ " ذو " بمعنى صاحب في مواضع كثيرة [٦٥] ، وبعد التحقيق والتدقيق في هذه المواضع أشار بعض العلماء إلى أنّ هناك تشريفا في " ذو" أكثر من "صاحب".

قال الزركشي(ت٧٩٤هـ) : ((ومنه " وذا النون " فأضافه إلى الحوت والمراد يونس ، وقال في سورة القلم : ﴿ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ ﴾ [٤٨] ، والإضافة بـ " ذي " أشرف من الإضافة بصاحب ...))[٦٦].

فهو ذكر أنّ " ذو" أشرف من صاحب ، ولكنّه ذكر كذلك ورود "صاحب" في موضع ذو في سورة القلم فكان ذلك مدعاة لنبحث عن الفرق الدلالي بينهما ، حتّى وجدنا بعض العلماء يذكرون السبب في هذا المجيء . إذ فصل العلماء في الفرق فقالوا : ((والوصف بـ"ذو" أبلغ من الوصف بصاحب ، والإضافة بها أشرف فإنّ "ذو" يضاف للتابع و"صاحب" يضاف إلى المتبوع تقول: " أبو هريرة صاحب النّبي صلّى الله عليه وسلم" ، ولا تقول : " النّبي صلّى الله عليه وسلّم صاحب أبي هريرة " ، وأمّا ذو فإنّك تقول : ذو المال وذو الفرس ، فتجد الاسم الأول متبوعا غير تابع ، ويُبْنِي على هذا الفرق أنّه تعالى قال في سورة الأنبياء: ﴿وَذَا النُّونِ﴾ [٨٧] فأضافه إلى النّون وهو الحوت ، وقال في سورة ن: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾ قال: والمعنى واحد، لكن بين اللفظين تفاوت كثير في حسن الإشارة إلى الحالتين ، فإنّه حين ذكره في معرض الثناء عليه أتى بـ ذي ؛ لأنّ الإضافة بها أشرف وبالنون ؛ لأنّ لفظه أشرف من لفظ الحوت ، لوجوده في أوائل السور ، وليس في لفظ الحوت ما يشرفه لذلك فأتى به وبـ صاحب حين ذكره في معرض النّهي عن اتباعه))[٦٧].

إذ أنّه بيّن أن " ذو" أشرف من "صاحب" ، ثم عاد فاستدرك على سبب مجيء "صاحب" في الموضع الذي جاءت فيه "ذو" في سورة القلم بأنّ المقام في سورة الأنبياء

مقام ثناء ، وفي سورة القلم المقام مقام النهي عن اتباعه ، وكذلك التميّز الذي جاء من لفظ " النون " بوجوده في أوائل السور ، وليس في لفظ الحوت ما يشرفه لذلك .

ويرى الصبَّان أنّه يمكن أن تستعمل صاحب في موضع ذو إذا كان المقصود من صاحب الدوام والاستمرارية ، وهذا التوافق في الاستعمال مرده إلى تحقق معنى الصحبة في اللفظين فقال : ((أو يقال : صاحب الذي هو معنى ذو واقع موقع ذات ثبت لها الصحبة ، فذو واقع موقع ما يقبل أل بواسطة ... تحرير هذا المحل أنّ "ذو" اسم فيه معنى الوصف وُضِع لأن يوصف به كما يوصف بالصفات المشبهة وهو متحمّل للضمير كالصفة ، وأنّ "صاحب" لا يشكّ في أنّه يجوز أن يستعمل مراداً به الحدوث مَن صَحِبَهُ ، فهو صاحب أي مصاحب وعليه يقال : مررت برجل صاحبَ أخوه عمراً ، وإنكار ذلك مكابرة للواضح ، ويجوز أن يستعمل صـــــــــفة مشبهة بأن يراد به الثبوت والدوام ، وهو بهذا المعنى مرادف لـ ذو ...))[٦٨].

وقد أشار بعض المفسّرين إلى الدلالة الدقيقة لـ ذو فقطع بذلك جميع حبال الشّك بأنّهما على معنى واحد ، إذ قال : ((وكلمة (ذو) بمعنى صاحب، تدل على المصاحبة الدائمة والملازمة ، فلا نقول : فلان ذو علم لِمَن علِم قضيّة أو قضيتين ، إنّما لمَن اتّصف بالعلم الواسع وتمكَّن منه ، كذلك لا نقول : فلان ذو خلق إلا إذا كان الخُلُق صفة ملازمة له لا تنفكّ عنه ، ومن ذلك نقول : ذو القربى يعني ملاصقاً لك لا ينفك عنك ، فيجب أنْ تراعي حقَّه عليك))[٦٩].

وهذا الكلام يفسّر بنحو جلي الفرق الحقيقي في دلالة اللفظين ، ويضيف دليلا آخرَ على ما تقدم من كلام العلماء من أنّ التمييز جاء من خلال المتبوع بعد المضاف بـ " ذو" واختلاف المقام ، ونوعية اللفظ .

٢. التَّشريف في كلمة " الوجه "

أشار العلماء إلى أنّ أيّ تركيب ذُكر فيه عضو " الوجه " فالمراد به كناية عن الكلّ ، أي بمعنى إطلاق الجزء ويراد به الكل ، وقد وردت كلمة الوجه في تراكيب مختلفة من حيث الإعرابُ ، وكلّها تشير إلى شرف هذا العضو على بقية الجوارح سواء أكانت في مواضع الثواب والمدح أم في مواضع العقاب والذم.

فمن ذلك ما ذكره الرّازي (ت٦٠٦هـ) ، إذ قال : ((فأمّا معنى {مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ} فهو إسلام النّفس لطاعة الله تعالى ، وإنّما خصّ الوجه بالذكر لوجوه ، أحدها : لأنّه

أشرف الأعضاء من حيث إنّه معدن الحواس والفكر والتخيل ، فإذا تواضع الأشرف كان غيره أولى ، وثانيها : أنّ الوجه قد يكنّى به عن النّفس ، قال الله سبحانه ... ﴿إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِ الأعلى﴾ [الليل : ٢٠] وثالثها : أنّ أعظم العبادات السجدة ، وهي إنّما تحصل بالوجه فلا جرمَ خصّ الوجه بالذكر))[٧٠].

وأمّا أبو حيان الأندلسي فقد عبّر عن الوجه بأنّ المراد جميع ذاته ، وهو لفظ أشمل من غيره إذ قال : ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾ [آل عمران : ٢٠] والمعنى : انقدت وأطعت وخضعت لله وحدَه ، وعبّر بالوجه ، عن جميع ذاته ، لأنّ الوجه أشرف الأعضاء ، وإذا خضع الوجه فما سواه أخضع))[٧١].

ومثل هذا التحليل يعطي الفكر سبيلا إلى تحقيق سبب التخصيص للوجه ، وهذا الكلام مردّه يعود إلى أنّ الترتيب الذهني المتعارف عليه ، والمسلّم به في منطق الحياة يقود إلى فهم ذكر الوجه دون غيره ، بمعنى لا يختلف اثنان على مكانة الوجه عند الإنسان ، فإذا قدّم الأهم فهذا يعني أنّ ما يأتي بعده أهون في التقديم.

وقد أشار بعض العلماء استنادا إلى الحديث الشريف في قوله صلى الله عليه وسلم : ((لمّا نزلت ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴾ [الواقعة : ٧٤] قال لنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : اجعلوها في ركوعكم فلما نزلت ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى﴾ [الأعلى : ١] قال : اجعلوها في سجودكم)) [٧٢].

إذ أنّه ذهب بعض المحققين إلى وصف محل السجود واختيار اللفظ الأبلغ في أثنائه ، وانقياد العبد الذي يجود بجبهته في طاعة الله ، فقال: ((قوله : (اجعلوها) قد تبين بالحديث الأول ، وبما سيأتي كيفية هذا الجعل والحكمة في تخصيص الركوع بالعظيم والسجود بالأعلى أنّ السّجود لمّا كان فيه غاية التواضع لما فيه من وضع الجبهة التي هي أشرف الأعضاء على مواطئ الأقدام كان أفضل من الركوع فحسن تخصيصه بما فيه صيغة أفعل التفضيل ، وهـــــــــو الأعلى بخلاف العظيم جعلا للأبلغ مع الأبلغ والمطلق مع المطلق)) [٧٣].

وهذا الكلام فيه كمال الوصف من حيث الجمع بين الجانب الروحي مع الجانب الجسدي ، لأنّ التواضع يخلق في القلب راحة عظيمة في السجود ، وهو ما توسع فيه

علماء التحقيق في أثناء تفسيرهم لقوله تعالى : ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه :١١١] فقالوا : ((الوجه أشرف وأكرم شيء في تكوين الإنسان ، وهو الذي يُعطِي الشخص سِمَته المميزة ؛ لذلك يحميه الإنسان ويحفظه ، ألاَ ترى لو أصاب وجهك غُبَار أو تراب أو طين مثلاً تمسحه بيدك، لم تزِدْ على أنك جعلْتَ ما في وجهك في يدك لماذا ؟ لأنّه أشرف شيء فيك ، لذلك ، كان السجود لله تعالى في الصلاة علامة الخضوع والخشوع والذلَّة والانكسار له عز وجل ، ورضيتَ أنّ تضع أشرف جزءٍ فيك على الأرض وتباشر به التراب ، والإنسان لا يعنُو بوجهه إلا لمَنْ يعتقد اعتقاداً جازماً بأنه يستحقُّ هذا السجود ، وأنّ السّجود له وحده يحميه من السّجود لغيره)) (٧٤).

وفي هذا الكلام بيان على أنّ الوجه في جميع التراكيب التي تقدمت يعدّ أشرف أعضاء الإنسان ، وأنّ هذا السبب كان وراء اختيار أن يكون الوجه هو الذي يختص بالسّجود ، وهو أقرب مسافة بين العبد وربّه بدليل قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ((أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ)) (٧٥).

فهذه الدلالات الشريفة التي أعطاها لفظ الوجه اكسبته مكانا واضحا في التراكيب اللغوية والمعاني النَّحوية ، إذ من هذه الدلالات استخرج العلماء بتحليلهم الدقيق تلك المعاني التي تطمئن لها النفس ، وينشرح لها الصدر ، ويستأنس بها الفكر ، وهو مقصد شريف اعتنى به العلماء وصوروا تفاصيله بأجمل العبارات وأصفى المعاني.

٣. التَّشريف بالإضافة:

الإضافة لفظ مركب من كلمتين ويسمّونه بالـــمركب الإضافي ، وتعريف المركب : ((ما يدلّ جزؤه على جزءِ معناه)) (٧٦). ولا يتحقق التَّشريف في أحدهما إلا باكتمال الجزأين ، وأنّ الغالب هنا أنّ التَّشريف يتحقق في المضاف إليه من دون المضاف إذا أخرجنا نحو " ربّ النّاس" و" ذو " التي تقدمت على أحد القولين.

وقبل الدخول في صميم الموضوع أودّ أن أشير إلى أنّ العلماء قد وظفوا في هذا الباب مسائل فكرية تتعلق بفلسفة لها جذور متأصّلةٍ في تجارب الحياة نظرا لشهرته ، في نحو قولهم : ((ليست الأذناب كالأعراف ، ولا الأنذال كالأشراف . إذا صحبت فاصحب الأشراف تنل التَّشريف ، فإنّ المضاف يكتسب من المضاف إليه التنكير والتعريف))(٧٧).

لقد أكد العلماء أنّ كل لفظ جاء مضافا إلى اسم الله تعالى فإنّه جاء للتشريف والتعظيم ، نحو قولهم : ((... وأبانه بذلك عن سائر أوليائه ، فسمّاه خليل الله من بين الأنبياء ، كما سمّى الكعبة : بيت الله من بين جميع البيوت ، وأهل مكة : أهل الله من بين جميع البلدان. وسمّى ناقة صالح ـ عليه السلام : ناقة الله من بين جميع النوق. وهكذا كل شيء عظمه الله تعالى، من خير وشر، وثواب وعقاب. كما قالوا : دعه في لعنة الله ، وفي نار الله وفي حرقه. وكما قال للقرآن : كتاب الله، وللمحرَّم : شهر الله . وعلى هذا المثال قيل لحمزة رحمة الله ورضوانه عز ذكره عليه: أسد الله ، ولخالد ـ رحمة الله عليه: سيف الله تعالى)) [٧٨].

وهكذا أينما ورد اسم الله سبحانه وتعالى مضافا إليه ذكروا التَّشريف والتعظيم ، وقد ألّف الثعالبي كتابا ذكر في إحد أبوابه أصناف الإضافة إلى اسمه سبحانه ومنها (نور الله ، وسبيل الله ، ويد الله ...) ، وقال في سبب إضافة الناقة إلى لفظ الجلالة : (((ناقة الله) النّوق وغيرها من المخلوقات كلّها لله ، ولكنّ هذه الناقة لمّا كانت آية من آيات الله تعالى ومعجزة لنبيه صالح ـ عليه السلام خصت بالإضافة إلى الله تعالى كما قال : ﴿ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴾ [الشمس :١٣])) [٧٩].

إذ وصف الإضافة بالاختصاص ، وهو بمعنى التفرد ، ولا ينفرد شيء إلا لسبب نحو قوله تعالى : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ [البقرة :١٠٥]

وصرّح كثير من العلماء بالتَّشريف من جهة الإضافة ، ومنه قول بعضهم : ((وإنّما أضافها إلى الله تعالى لشرفها كبيت الله)) [٨٠]. وقد يكون المضاف إليه ضميرا يعود إلى الله سبحانه وتعالى كما في قوله سبحانه : ((﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا ﴾ [يوسف :٢٤] ، والإضافة للتشريف كقوله : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان : ٦٣])) [٨١].

وكذلك في قوله جل جلاله : ((﴿ طَهِّرَا بَيْتِيَ ﴾ [البقرة :١٢٥] الإضافة للتشريف والتكريم)) [٨٢].

وقد بيّن بعض علماء البلاغة أنّه قد تنزع الإضافة حتى لا يتحقق التَّشريف إذا تتطلب المقام بذلك كما جاء في قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ﴾ [هود : ٤٤] قال القزويني :((ولم يقل : يا أرضِ ، بالكسر تجنبا لإضافة التَّشريف تأكيدا للتهاون ، ولم يقل : يا أيتها

الأرض للاختصار مع الاحتراز عما في أيتها من تكلف التنبيه غير المناسب للمقام لكون المخاطب غير صالح للتنبيه على الحقيقة)) (٨٣).

ومنه كذلك إسناد الله سبحانه القول لنفسه قال الدكتور فاضل السامرائي : ((إن الله أسند القول إلى نفسه في سورة البقرة ، فقال : ((﴿ وَإِذْ قُلْنَا ﴾ [البقرة ٥٨] في حين بنى القول للمجهول في الأعراف فقال : ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُم اسكُنُوا ﴾[الأعراف : ١٦١] وإسناد القول إلى نفسه يكون في مقام التكريم والتَّشريف بخلاف البناء للمجهول ، فـ ناسب في مقام التكريم ذكر الانفجار بالماء دون الانبجاس)) (٨٤).

ومن دقائق هذه المسألة أنّه قد تذكر الإضافة لأجل التَّشريف إلا أنّ المضاف لا يستفيد منها ، كما في قوله تعالى : ((﴿إِلاَّ امْرَأَتَكَ ﴾ [العنكبوت : ٣٣] استثناء من قوله تعالى :﴿ فأسر بأهلك ﴾ ... والمراد امرأته ، فإنّها مع تشرفها بالإضافة إلى بيت النبوة لمّا اتصلت بأهل الضلالة صارت ضالة ، وأدّى ضلالها وكفرها إلى الهلاك معهم ، ففيه تنبيه على أنّ لصحبة الأغيار ضررا عظيما)) (٨٥).

وهذا دليل على أنّ التَّشريف يتحقق بأحد المضافين سواء أكان المتقدم أم المتأخر ، وأنّ التَّشريف قد يشمل الطرفين بأحدهما ، أو ينحصر أحدهما بالتَّشريف فلا يشمل الآخر.

٤. التَّشريف في التغليب :

يملك مصطلح التغليب معنى يوظف لدلالة تتجدد في كل شيء يمكن أن يكون فيه اشتراك مع غيره ، وقد عني المتقدمون به عناية واضحة ، ويرد التّغليب في موضوع المثنى وفي غيره كالجمع ، كما قال الرّضي(ت٦٨٦هـ) : ((...لأنّ التغليب يكون عند الاجتماع ، كـ [المسلمون] في الرجال والنساء)) (٨٦) ، وقال السكّاكي : ((وباب التغليب باب واسع يجري في كل فنّ. قال تعالى حكاية عن قوم شعيب : ﴿ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا ﴾ [الأعراف : ٨٨] أدخل شعيب في لتعودن في ملتنا بحكم التغليب ، وإلا فما كان شعيب في ملتهم كافرا مثلهم))(٨٧). وأمّا تعريفه فـ ((هو ترجيح أحد المعلومين على الآخر وإطلاقه عليهما)) (٨٨). وقد جمع ابن السكيت(٨٩) والسيوطي(٩٠). أسماء كثيرة في التغليب.

لقد سُمع عن العرب الكثير من الأمثلة في التغليب ، وقد كان أحد أسبابه المهمة التَّشريف ، قال الزركشي : ((الغالب من التغليب أن يراعى الأشرف كما سبق : ولهذا قالوا في تثنية الأب والأم أبوان ، وفي تثنية المشرق والمغرب المشرقان ؛ لأنّ الشّرق دال على الوجود والغرب دال على العدم والوجود لا محالة أشرف وكذلك القمران ، قال[٩١]:

[أخذنا بآفاق السماء عليكم] ... لنا قمراها والنجوم الطوالع

أراد الشمس والقمر فغلب القمر لشرف التذكير ، وأما قولهم : سنّة العمرين يريدون أبا بكر وعمر ، قال ابن سيده في المحكم : إنّما فعلوا ذلك إيثارا للخفة أي غلب الأخف على الأثقل ؛ لأنّ لفظ عمر مفرد ولفظ أبي بكر مركب ، وذكر أبو عبيد في غريب الحديث أنّ ذلك للشهرة وطول المدة ، وذكر غيرهما أنّ المراد به عمر بن الخطاب وعمر بن عبد العزيز وعلى هذا فلا تغليب ، ورد بأنهم نطقوا بالعمرين قبل أن يعرفوا عمر بن عبد العزيز فقالوا : يوم الجمل لعلي بن أبي طالب سنّة العمرين))[٩٢].

وهذا الكلام يفتح باب الاجتهاد في بيان سبب التغليب مما يدلّ على أنّ بابه حمّال أوجه حتى يأتي الدليل الفصل الذي يقطع ويجزم بالمقصود من هذا التغليب ، ولذلك مَن قطع بوجه واحد على التغليب ضعّف كلامه العلماء ، قال الصبان : ((قوله: "فخرج بالقيد الأول نحو العمرين" يصح ضبطه بالفتح فالإسكان تغليبًا للأخف وبالضم فالفتح إشارة إلى قوله صلى الله عليه وسلّم: "اللهم أعز الإسلام بأحب العمرين[٩٣]إليك" يعني عمر بن الخطاب وعمرو بن هشام الذي هو أبو جهل تغليبًا للأشرف الذي سبقت له السعادة فيكون في الحديث رمز إلى أنه الذي يسلم. قال الدماميني يغلب الأخف لفظًا ما لم يكن غير الأخف مذكرًا. أقول أو اقتضى تغليبه سبب غير التذكير كما قررناه في العمرين بالضم فالفتح. وما نقلناه عن الدماميني نقله الشمني عن التفتازاني. ثم نقل الدماميني عن ابن الحاجب أن شرط التغليب تغليب الأدنى على الأعلى وضعفه ، وعن غيره أن شرطه تغليب الأعلى على الأدنى وضعفه)) [٩٤].

كما جاء التغليب لأجل التَّشريف في قوله تعالى : ﴿رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ﴾ [نوح : ٢٨]قال السمين : ((العامَّةُ على فتحِ الدال على أنه تثنيةُ "والِد" يريد أبوَيْه. وقرأ الحسن بن علي رضي الله عنهما ويحيى بن يعمر والنخعي "ولوالِدِيْ" بكسر الدال يعني أباه، فيجوزُ أن يكونَ أرادَ أباه الأقربَ الذي وَلَدَه، وخصَّه بالذِّكْر ؛ لأنه أشرفُ من الأم))[٩٥].

فالخطاب الإلهي تضمن الانزياح التغليبي في لفظة الوالدين ، وهو يقوم مقام الأبوين لكن في ذكر الوالدين سرّ هو تغليب المذكر على المؤنث ودلالة هذا التغليب هو التعظيم [٩٦].

وذهب بعض العلماء أنّ التغليب باب معروف إلاّ أنّه سماعي لا يقاس عليه ، ومن هؤلاء محقق كتاب شرح الشذور إذ قال : ((وهو باب معروف في اللغة، يُغلَّب فيه اسم على اسم فتارة يغلب الأشرف وتارة يغلب الأخف على الأثقل وتارة يغلب المذكر على المؤنث. وهو سماعي يحفظ ولا يقاس عليه))[٩٧].

وقد ردّ أحد المحدثين على من قال إنّ ذلك من السماع الذي لا يقاس عليه فقال : ((والخير أن يكون التغليب قياسيًّا عند وجود قرينة تدل على المراد بغير ليس: كما لو أقبل شخصان معروفان واسم أحدهما : محمد، والآخر: علي، فقلت: جاء العليان أو المحمدان، لكثرة تلازمهما، أو شدة تشابههما في أمر واضح. وبهذا الرأي العملي النافع يقول بعض الباحثين القدامى والمحدثين، والأخذ به حسن ومفيد ، هذا والشائع عند العرب تغليب الأقوى والأقدر "في التثنية كالأبوين". للأب والأم، وتارة يغلبون الأخف نطقا كالعمرين، لأبي بكر وعمر، وتارة يغلبون الأعظم في اتساعه أو ضخامته ... كقوله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ، هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُه ، وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاج﴾ [فاطر : ١٢]. ففي الآية تغليب للبحر على النهر. كما يكثر عندهم تغليب المذكر على المؤنث، كقولهم: "القمران" في الشمر والقمر، والعاقل على غيره ، ففي مثل: صالح والعصفور، يقال: الصالحان يغردان...))[٩٨].

والذي يظهر من كل ما تقدم أن كل شيء جاء فيه تغليب فيه تحديد لطرف يلحقه طرف آخر ، ثم ينال من أحد الطرفين معنى ظاهرا إذا أطلق انصرف إلى الطرفين ، ومن هذه المعاني الظاهرة التَّشريف ، الذي يمكن أن يتحقق في معاني التعظيم والسبق والكبر والأقوى ، وهو ما صرح به بعض العلماء .

الخاتمة :

الحمد لله الذي لا تطيب الدنيا إلا بذكره ، ولا تطيب الآخرة إلا بعفوه ، ولا تطيب الجنة إلا برؤيته .

وبعد

فلمّا كان لكلِّ أجلٍ كتابٌ ، ولكلِّ كتاب أجلٌ ، فقد أُنجزَ البحث بفضل الله تعالى وكرمه ، وهذه أهم النتائج التي توصلت الدراسة إليها :

- **إنّ مصطلح التَّشريف استعمله كثير من العلماء ، وفي علوم مختلفة نظرا لما في هذا المصطلح من دلالات جمالية تحقق رغبة الكاتب في أي مسألة يرى أنّ هناك ما يستحق أن ينال هذه الصفة.**
- **أنّ الاتجاه إلى مثل هذه الطرق في توظيف الكلمات هو أسلوب قرآني في انتخاب الألفاظ الكريمة في التحاور والتخاطب ، وهو ما تحقق تطبيقا مباشرا في سيرة سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأبهى العبارات وأرقى الكلمات وكيف لا وهو صاحب جوامع الكلم.**
- **إن مثل هذه الدراسات فيه ردّ على من زعم أن النحو العربي ينحصر في " نحو الإعراب " ، زاعمين أن النحويين لم يناقشوا مسألة المقام ، وهذا كلام لا يعد دقيقا ، ومن يذهب إلى كتب إعراب القرآن يعلم جيدا مدى اهتمامهم لمسألة السياق والقرائن والمقام ، وإذا خلت بعض كتب التعليم النحوي المختصرة من مثل هذه الإشارات ، فهذا لا يبنى عليه للحكم على جميع النحويين وكتبهم ، ولاسيما أن هناك من المحدثين من ردّ على مثل هذه الزعوم(٩٩).**
- **لقد وظّف النَّحويون معاني التَّشريف في مواطن بعض المسائل النَّحوية ، ولم يكتفوا بذكر تلك المواطن ، وإنّما ذهبوا إلى بيان أسباب ظهور التشريف فيها ، وكان هذا الأمر دليلا على المنهج التعليلي في التحليل النحوي ، والذي يأخذ نصيبا كبيرا من الفكر النحوي ، ونحن نعلم أنَّ النحويين لا يسلمون بالآراء دون الوقوف عند الأسباب والمسوغات ، ولهذا قدّموا الاسم على الفعل والحرف ، لشرفه بالاستغناء عنهما ، ودلالته على الذات ، وكذلك قدموا متعلقات الاسم على متعلقات الفعل ، ولاسيّما في علامات الإعراب ، وفي الأفعال جاء الفعل المضارع أشرف من نظيريه الماضي والأمر لمشابهته الاسم ، وقدّموا المعرب على المبني**

لشرفه ؛ لأنّه الأصل في الأسماء ، ولكونه موجودا وظاهرا بخلاف المبني فإنّ علامته معدومة لعدم الأثر . وكذلك ذكروا أنّ المعرفة أشرف من النكرة لوجود التعيين في المعرفة . وفي الضمائر جعلوا المتصل أشرف من المنفصل لأنّه أخصر من المنفصل.

- وكذلك تحقق التَّشريف بنحو كبير في معاني مستويات الترتيب ، فذهب النَّحويون إلى بيان المواطن التي تقدمت لأجل التَّشريف ، كتقديم المفعول أو تقديم لفظ معين كما في تقديم السماء على الأرض ، وتقديم اليد على الرِّجل ، وتقديم السمع على البصر. وكان المنطلق والمعيار والميزان في الحكم على هذه المسائل هو أسلوب القرآن الكريم ، إذ وجدوا أنّ هناك آياتٍ كثيرةً تحققت فيها دقائق الترتيب.
- وأما في معاني الألفاظ في التراكيب النَّحوية فقد ذكر النَّحويون أن هناك ألفاظا تميزت من غيرها وتم اختيارها بدلا من المتشابهات لها لما فيها من الدلالات التي تناسب المقام الذي وردت فيه ، فمن ذلك وضع " ذو " بدلا من " صاحب ، لشرفه ، وكذلك الإضافة التي تأتي لأجل التَّشريف. وكذلك التشريف الذي تحقق في موضوع التغليب . واختيار الوجه بدلا من أعضاء جسم الإنسان الأُخر.
- وتُظهر مثل هذه الدراسات أنّ مجالات الدراسات النَّحوية لا زالت ولاّدة ، وأن هناك جوانب كثيرة من الدراسات اللغوية لم تطرق ، وبحاجة إلى سبر أغوارها ، والتوسع في بسطها.

الهوامش

١. ينظر : المزهر : ١٢٩/١.

٢. القاموس المحيط :١٠٦٤/١. ومنه كذلك قول ابن فارس : ((نخل) النون والخاء واللام: كلمةٌ تدلُّ على انتقاء الشَّيء واختياره.وانتخلته: استقصيت حَتّى أخذتُ أفضلَه. وعندنا أنَّ النَّخلَ سمِّي به لأنَّه أشرف كلِّ شجرٍ ذي ساق، الواحدة نَخْلة. والنَّخْل: نَخلك الدَّقيق بالمُنْخُل)) مقاييس اللغة / مادة نخل.

٣. المعجم الوسيط : ٤٧٩/١.

٤. ينظر : ديوان الحماسة :٣٠٥/٢.

٥. الكتاب :١٢/١.

٦. ينظر : المقتضب : ٣/١ ، الأصول في النَّحو : ٣٦/١.

٧. حاشية الصبان : ٧٠/١. ومن النحويين من يرى أن التسمية لها علاقة بابتداء النحويين بالاسم دون الفعل والحرف فقال : ((وسمي الأول : اسما لسموه وعلوه على أخويه ، لاستغنائه عنهما وافتقارهما إليه ولهذا

قدم عليهما)) بلوغ الأرب بشرح شذور الذهب :٦٩

٨. المصدر نفسه : ٧٠/١.
٩. حاشية الآجرومية : ١٠.
١٠. شرح الكفراوي : ٢٩.
١١. الكتاب : ٢١/١.
١٢. حاشية الصبان :٣٣١/٣.
١٣. حاشية الآجرومية : ٢٥.
١٤. موصل الطلاب : ١٤٨.
١٥. الخصائص : ٨٣/٣.
١٦. البهجة المرضية :١٥.
١٧. المصدر نفسه :١٥. ، ولمناسبة الاختلاف يقول العلماء : (والاختلاف في الشيء نقص فيه) وهذا من قول المحقق.
١٨. أوضح المسالك :٢٨/١.
١٩. حاشية الصبان : ٩٢/١.
٢٠. المصدر نفسه :٩٢/١.
٢١. شرح شذور الذهب : ١٧٠/١.
٢٢. حاشية الصبان : ١١١/١.
٢٣. البهجة المرضية : ٢١.
٢٤. منحة الجليل : ٣٥/١.
٢٥. شرح الرضي على الكافية : ٣٠٧/٣.
٢٦. المصدر نفسه : ٥٦/١.
٢٧. حاشية الصبان : ١٢٥/١.
٢٨. التحفة السنية: ٦٥.
٢٩. المصدر نفسه : ٣٧/١.
٣٠. حاشية الصبان : ١٨٨/١.
٣١. المصدر نفسه : ١٢٦/١.
٣٢. الكتاب : ٢٩٧/٣.
٣٣. حاشية الصبان :١٨٢/١.
٣٤. التعريفات : ٨٨/١.
٣٥. حاشية الآجرومية : ٨٢.
٣٦. الخصائص : ١٩٢/٢.
٣٧. شرح الرضي : ٤٣.٤٢/٣.
٣٨. توضيح المقاصد :٣٥٩/١.
٣٩. حاشية الصبان :١٩٦/١.
٤٠. النَّحو الوافي : ٢٧٢/١.

٤١. معاني النَّحو :٨/١.
٤٢. الكتاب : ٣٤/١.
٤٣. ألفية ابن مالك : ٣.
٤٤. حاشية الصبان :٦٢/١.
٤٥. المصدر نفسه : ٦٢/١.
٤٦. حاشية الخضري : ٢٦/١.
٤٧. النَّحو الوافي : ٥٥٨/٣.
٤٨. الدر المصون : ٤٦٨/٥.
٤٩. تفسير الرازي :٢٤١/٢٦.
٥٠. فتح القدير : ٤٩٥/٤.
٥١. الإيضاح في علوم البلاغة :١٨٧/٢.
٥٢. حاشية الصبان : ١٠٥/٣.
٥٣. ينظر : جامع الدروس العربية : ٦٠٠.
٥٤. معاني النَّحو : ١٠٤.١٠٣/٣.
٥٥. الإيضاح في علوم البلاغة :١٨٧/٢.
٥٦. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور :٣٠٠/٨.
٥٧. تفسير البحر المحيط :٤٠٥/١.
٥٨. ينظر : الإتقان في علم القرآن : ٤٦/٣.
٥٩. البرهان في علوم القرآن : ٢٥٤/٣.
٦٠. الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم.١٨٤.
٦١. الخصائص : ١٧٦/١.
٦٢. المستدرك على الصحيحين :٧١٠/٣.
٦٣. المصدر نفسه : ٢٢٠/١.
٦٤. الحيوان : ١٣١/٣.
٦٥. ينظر شرح ابن عقيل : ٤٥/١.
٦٦. البرهان في علوم القرآن :١٦٢/١.
٦٧. الإتقان : ٤٧٣/١.
٦٨. حاشية الصبان : ١٨٠/١.
٦٩. تفسير الشعراوي : ٣٣٧٢.
٧٠. تفسير الرازي :٤/٤.
٧١. تفسير البحر المحيط :٣١٢/٢.
٧٢. مسند الإمام أحمد : ٦٣٠/٢٨.
٧٣. فتح القدير : ٢٧٣/٢
٧٤. تفسير الشعراوي : ٢٤٤١.
٧٥. مسند الإمام أحمد :٢٧٤/١٥.

٧٦. التوقيف على مهمات التعاريف : ٦٦٨.
٧٧. ذيل نفحة الريحانة : ٢١٢/٦.
٧٨. رسائل الجاحظ :٢٣٥.
٧٩. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب :٢٩.
٨٠. الخازن : ٢٥٣/٧.
٨١. غرائب القرآن :٧٩/٤.
٨٢. فتح القدير : ١٤١/١.
٨٣. الإيضاح في علوم البلاغة : ٢٨٦.
٨٤. بلاغة الكلمة :١١٠
٨٥. تفسير حقي : ٤٧٨/٥.
٨٦. شرح الرضي : ٣٦٦/٣.
٨٧. مفتاح العلوم : ١٠٥.
٨٨. التعريفات : ٤٠.
٨٩. ينظر : إصلاح المنطق : ٤٠٠.
٩٠. ينظر : المزهر : ١٦٧/٢.
٩١. أمثال العرب :٢٠.
٩٢. البرهان في علوم القرآن : ٣١٢/٣.
٩٣. الصحيح (اللهم أعز الإسلام بأحب الرجلين إليك) ينظر : المستدرك على الصحيحين :٨٩/٣.
٩٤. حاشية الصبان : ١٣٩/١.
٩٥. الدر المصون : ٣٨٧/٦.
٩٦. نظرات أسلوبية في الخطاب القرآني :٢٩.
٩٧. شرح شذور الذهب : ١٩٢.
٩٨. النَّحو الوافي : ١١٨/١.
٩٩. قضايا التشكيل في الدرس النحوي. في اللسان العربي :٦.

المصادر والمراجع :

١. الإتقان في علوم القرآن: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب/ ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.

٢.إصلاح المنطق: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ابن السِّكيت (ت٢٤٤هـ) ، تحقيق : أحمد محمد شاكر و عبدالسلام محمد هارون ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة / ١٩٤٩م.

٣. الأصول في النَّحو : أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النَّحوي البغدادي(٣١٦هـ) ، تحقيق: د . عبد الحسين الفتلي ، الطبعة الرابعة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت /١٤٢٠هـ ١٩٩٩م.

٤. الإعجاز اللغوي والبياني في القرآن الكريم علي بن نايف الشحود
http://saaid.net/book/open.php?cat=90&book=3840
٥ـ ألفية ابن مالك : محمد بن عبدالله بن مالك الأندلسي(ت٦٧٢هـ) ، بخط يحيى سلوم العباسي مكتبة النهضة . بغداد / ١٩٨٤م.
٦. أمثال العرب : المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (ت١٦٨هـ)، تحقيق : إحسان عباس ، الطبعة الثانية ، دار الرائد العربي ، بيروت – لبنان /١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م.
٧. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك : جمال الدين ابن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ)، محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الطلائع للنشر : دار الجيل ، بيروت / ٢٠٠٤م.
٨ ـ الإيضاح في علوم البلاغة:الخطيب القزويني (ت٧٣٩ هـ) دراسة وتحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي ، الطبعة الثالثة ، دار الجيل ، بيروت.
٩. البرهان في علوم القرآن: أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعرفة ، بيروت / ١٣٩١هـ.
١٠. البهجة المرضية في شرح الألفية : جلال الدين ، السيوطي ، (ت : ٩١١هـ) وبهامشه : توضيحات للبهجة المرضية بتعليقة مصطفى الحسيني الدشتي مؤسسة إسماعيليان ، قم /١٤١٧هـ .
١١ . بلاغة الكلمة في التعبير القرآني : د . فاضل صالح السامرائي ، الطبعة الثانية ، شركة العاتك لصناعة الكتاب ، القاهرة /١٤٢٧هـ . ٢٠٠٦م.
١٢. بلوغ الأرب بشرح شذور الذهب : أبو يحيى زكريا بن محمد الأنصاري (ت ٩٢٦هـ) ، تحقيق : د.خلف عودة القيسي ، الطبعة الأولى ، دار يافا العلمية ، عمان . الأردن /٢٠١١م.
١٣ـ التحفة السنية بشرح المقدمة الآجرومية : شرح محمد محيي الدين عبد الحميد ، (ت ١٣٩٣هـ) ، المكتبة التجارية بمصر / ١٣٨٩هـ.
١٤. التعريفات : علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت٨١٦هـ)،تحقيق: إبراهيم الأبياري ، الطبعة الأولى ، دار الكتاب العربي ، بيروت / ١٤٠٥هـ .
١٥. تفسير البحر المحيط : أبو حيان أثير الدين محمد بن يوسف النحوي الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، دار الفكر ، بيروت . لبنان .
١٦. تفسير حقي : حقي البروسوي المتوفى سنة ١١٣٧ هـ مصدر الكتاب : موقع التفاسير
http://www.altafsir.com
١٧. تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل : علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي الشهير بالخازن (ت٧٤١هـ) ، دار الفكر ، بيروت . لبنان / ١٣٩٩ هـ –١٩٧٩ م.
١٨. تفسير الشعراوي : محمد متولي الشعراوي ، دار أخبار اليوم ، مصر/١٩٩١م.
١٩. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب : فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي(ت٦٠٦هـ)، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان / ١٤٢١هـ – ٢٠٠٠م.

٢٠. توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: أبو محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي المصري المالكي (ت ٧٤٩هـ) شرح وتحقيق : عبد الرحمن علي سليمان ، أستاذ اللغويات في جامعة الأزهر ، الطبعة الأولى ، دار الفكر العربي / ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م.

٢١. التوقيف على مهمات التعاريف : محمد عبد الرؤوف المناوي(ت١٠٣١هـ) ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، الطبعة الأولى ، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر ، بيروت / ١٤١٠هـ .

٢٢ــ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : أبو منصور عبدالملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي(ت٤٢٩هـ)، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، الطبعة الأولى ، دار المعارف – القاهرة/ ١٩٦٥م.

٢٣. جامع الدروس العربية : مصطفى الغلاييني ، دار الحديث القاهرة /١٤٢٦هـ. ٢٠٠٥م.

٢٤. حاشية الآجرومية: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي الحنبلي النجدي (المتوفى : ١٣٩٢هـ)_ http://www.mktaba.org

٢٥ـ حاشية الخضري (ت١٢٨٨هـ)على شرح ابن عقيل : محمد بن مصطفى الخضري ، الطبعة الثالثة ، تحقيق : تركي فرحان المصطفى : دار الكتب العلمية ،بيروت- لبنان ،٢٠٠٩م

٢٦. حاشية الصبان (ت١٢٠٦هـ)على شرح الأشموني (ت٩٢٩هـ) ومعه الشواهد للعيني : محمود ابن الجميل ، الطبعة الأولى ، مكتبة الصفا ،القاهرة ،١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م

٢٧ـ الحيوان : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت٢٥٥ هـ)، تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، دار الجيل لبنان . بيروت / ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م.

٢٨ـ الخصائص: أبو الفتح عثمان ابن جني(ت ٣٩٢هـ) ، تحقيق: محمد علي النجار ، عالم الكتب – بيروت.

٢٩. الدر المصون في علم الكتاب المكنون : شهاب الدين أحمد بن السمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) تحقيق : علي محمد معوض وآخرون الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان /١٤١٤هـ. ١٩٩٤م.

٣٠. ديوان الحماسة : الخطيب التبريزي(ت٥٠٢هـ) ، دار القلم – بيروت.

٣١ـ ذيل نفحة الريحانة : محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي (ت١٠٨٢ هـ)، تحقيق : أحمد عناية ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان / ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٣٢ـ رسائل الجاحظ : عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (ت٢٥٥ هـ)، شرح وتقديم : عبد إمهنا ، الطبعة الأولى ، دار الحداثة /١٩٨٨م.

٣٣. شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : قاضي القضاة بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي المصري الهمداني(ت٧٦٩هـ) ، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، سوريا / ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

٣٤ـ شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب : شمس الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد الجَوجَري القاهري الشافعي (ت ٨٨٩هـ) تحقيق : نواف بن جزاء الحارثي ، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة ، المملكة العربية السعودية (أصل الكتاب: رسالة ماجستير للمحقق) الطبعة : الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ -٢٠٠٤ م.

٣٥. شرح كافية ابن الحاجب(ت٦٤٦هـ) : رضي الدين محمد الاستراباذي(ت٦٨٦هـ) ، تحقيق : أحمد السيد أحمد ، المكتبة التوفيقية ، مصر .

٣٦. شرح الكفراوي على متن الآجرومية : حسن الكفراوي(ت١٢٠٢هـ) ، ومعه حاشية إسماعيل الحامدي ، دار البصيرة الإسكندرية مصر /١٤٢٦هـ . ٢٠٠٥م.

٣٧ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان : نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت بعد ٨٥٠ هـ) تحقيق : الشيخ زكريا عميران الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان / ١٤١٦ هـ – ١٩٩٦ م.

٣٨ـ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت١٢٥٠هـ)، دار الفكر ، بيروت.

٣٩. القاموس المحيط : محمد بن يعقوب الفيروز آبادي(ت٨١٧هـ) ، مؤسسة الرسالة ، بيروت . لبنان .

٤٠. قضايا التشكيل في الدرس النحوي . في اللسان العربي : أ.د. فيصل إبراهيم صفا ، الطبعة الأولى ، عالم الكتب الحديث ، إربد . الأرن /١٤٣١هـ . ٢٠١٠م.

٤١. الكتاب : أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام هارون، دار القلم بالقاهرة /١٩٦٦م.

٤٢. المزهر في علوم اللغة وأنواعها : أبو بكر جلال الدين عبدالرحمن بن السيوطي(ت٩١١هـ) ، تحقيق : فؤاد علي منصور ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت / ١٩٩٨م.

٤٣ـ المستدرك على الصحيحين: محمد بن عبدالله أبو عبدالله الحاكم النيسابوري(ت٤٠٥هـ) ، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية – بيروت/ ١٤١١ – ١٩٩٠

٤٤. مسند الإمام أحمد بن حنبل : أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ) ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط وآخرون، الطبعة الثانية ، مؤسسة الرسالة /١٤٢٠هـ ، ١٩٩٩م.

٤٥ـ معاني النَّحو : د. فاضل صالح السامرائي ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة ، ١٤٠٦ / ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ / ١٩٨٧ م .

٤٦. معجم مقاييس اللغة : أبو الحسين أحمد بن فارِس بن زَكَرِيّا(ت٣٩٥هـ) ، تحقيق : عبد السَّلام محمد هَارُون ، تحاد الكتاب العرب /١٤٢٣ هـ – ٢٠٠٢م.

٤٧ـ المعجم الوسيط : إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر ، محمد النجار، دار الدعوة ، تحقيق: مجمع اللغة العربية / ١٣٨٠ هـ – ١٩٦٠ م.

٤٨ـ مفتاح العلوم : أبو يعقوب يوسف السكاكي (٦٢٦هـ) . ضبط وشرح الأستاذ : نعيم زرزور ، الطبعة الأولى ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان / ١٩٨٣م .

٤٩ـ المقتضب : أبو العباس محمد بن يزيد المبرد(ت٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة ، عالم الكتب ، بيروت.

٥٠. موصل الطلاب إلى قواعد الإعراب : خالد بن عبدالله الأزهري(ت ٩٠٥هـ) ، تحقيق : د.عبدالكريم مجاهد ، الطبعة الأولى ، مؤسسة الرسالة – بيروت/ .١٩٩٦

٥١. النَّحو الوافي: عباس حسن (ت ١٩٧٨هـ) الطبعة الخامسة عشرة ، دار المعارف ، مصر .
٥٢. نظرات أسلوبية للتغليب في الخطاب القرآني : د.عقيد خالد العزاوي ، د.عدنان جاسم الجميلي ، الطبعة الأولى ، دار العصماء ، دمشق . سوريا/١٤٣٢هـ . ٢٠١١م.
٥٣. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور : برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي(ت ٨٨٥هـ) ، تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي ، دار الكتب العلمية . بيروت / ١٤١٥هـ – ١٩٩٥ م.

ABSTRACT

The concept of honor a manifestation of the beauty of the language, and a way of Luminosity ways in the grammar lesson, Thira in the recruitment of grammarians within the system of terms that meet the analytical purposes grammarians, you build Allowasb.

The choosing words noble and dignified and sublime is approach God and destination Rabbani, through the call clear in the Koran to use good words, and Hassan of the phrases that are decorated landmarks of our lives, has become this great book cause the flow of many of the sentences and words on the tongues of speakers, has This approach translated Sunnah best of forms, many interviews at the famous properties and commoners

The study came in two sections, the first section dealt with: honor in syntax, while the second topic addressed: honor the meanings of the way, especially in the Koran, because most of the texts which they achieved honor came in the Quranic verses.